القارئ محور العملية الأدبية والإبداعية

أ.د. خشاب صادق
أ(ة). زينب كوشيدة
جامعة يحي فارس المدية–الجزائر

ملخص:

لقد شكل الاهتمام **بـ** "**القارئ**" نقطة تحول بارزة في تاريخ الفكر الأدبي والنقدي، وهذا الاهتمام أفرز قضية بالغة الأهمية وهي قضية "**التفاعل بين النص والقارئ**"؛ حيث أصبحت هذه القضية محل اهتمام الباحثين والنقاد على اختلاف مشاربهم الفكرية، فصرنا نحيا في "عصر القراءة" بامتياز؛ حيث ساهمت **نظرية التلقي** في ترقية الخطاب الأدبي والنقدي من خلال فتح آفاق وفضاءات واسعة في القراءة مما يضمن للنص البقاء والازدهار، ومن هنا تجاوز النقاد المعاصرين السؤال البديهي _الذي كان منطلق ظهور نظرية التلقي_ من يدرك النص؟ ولمن يكتب المبدع؟ إلى معرفة **كيفية القراءة** وهذا يستدعي الحديث عن **أنماط القراء والقراءة**، وهذا ما حاولت توضيحه في هذه الدراسة.

Abstract:

The big interest given to the reader resulted in a considerable change in the history of the literary and critical thought. This interest has introduced the issue of the interaction between the text and the reader, which becomes the topic of interest of researchers and critics in various fields. The reception theory has contributed to the development of the literary and critical discourse through the opening of horizons and fields of reading to guarantee the text survival and progress. Thus, the contemporary critics overtook the evident question, which was the starting point of the reception theory: who recognizes the text? And to whom does the writer writes? for the knowledge of the way we read ;as a result, studying the types of readers and reading, our objective in this study.

لقد قلبت قضية **التفاعل بين النص والقارئ** المعادلة النقدية، فبعد "سلطة المؤلف" و"سلطة النص" جاءت **نظرية التلقي** the theroies of reception في نهاية الستينيات على يد **هانس روبرت ياوس** hans Robert jauss و**فولفغانغ ايزر**wolfgangiser لكسر حاجز الصمت الذي كان يعانيه القارئ في المناهج السابقة ليصبح صوت القارئ مسموعا ومتحررا من سلطة المؤلف والنص، من خلال النظر إلى "فعل القراءة" بوصفها نشاطا ابداعيا وبدور القارئ بوصفه فاعلا ومنتجا، فهل يمكننا أن نتصور نص دون وجود القارئ؟ وهل للقارئ أصلا وجود وحضور بمعزل عن النص؟ وهل فهمنا لموضوع النص مستقل عن وجود فعل القراءة ؟.

إن هذه التساؤلات تحمل في طياتها أجوبة ولكنها تحيلنا إلى سؤال آخر أهم، إذا سلمنا بأن القراء ليسوا متساوون في القدرات العقلية والمعرفية فهذا يعني حتما أن مستويات القراءة مختلفة، انطلاقا من هاته الحتمية نطرح السؤال التالي: ماهي أنماط القراء والقراءة؟، وهذا ما سأحاول الإجابة عنه في هذا المقال الموسوم بـ: "**القارئ محور العملية الأدبية والإبداعية**".

أولا: أنماط القراء

1-القارئ المعاصر:Le lecteur contemporain

إن مفهوم القارئ المعاصر يحيلنا إلى مجموع الأحكام الصادرة بشأن عمل أدبي معين من طرف جمهوره المعاصر، وعلى مجموع المعايير والقيم الأدبية والاجتماعية التي تتأسس عليها هذه الأحكام، وذلك باللجوء إلى شهادات القراء

أنفسهم التي تعكس لنا كيفية استقبالهم لهذا العمل الأدبي، واللافت للانتباه حسب "عبد الكريم شرفي" أن هذا الصنف من القراء اهتماماته موجهة لتاريخ التلقي ولا ترتبط بنظرية التلقي[1]، ويشرحه **ناضم عودة خضر** على أنه ذلك القارئ الذي يتعلق بتاريخ التلقي، وكيفية تلقي نص ما من طرف جمهور معين، والأحكام الصادرة عنهم بوعي الآثار الأدبية والتي تعكس وجهات نظرهم باعتبارهم قراء معاصرين يمارسون تأملاتهم داخل الأدب، كما يُسهم تاريخ التلقي بشهادات القراء عبر فترات تاريخية مختلفة حول عمل أدبي ما، مما يسهم في تحديد الضوابط التي تشكل هذه الأحكام التي تعتبر نقطة البداية لتحديد تاريخ الذوق الذي تحدده الشروط الاجتماعية لجمهور القراء[2].

2- القارئ الجمع: L'Archilecteur

يعرفه "**ريفاتير**" بقوله: "هو مجموعة من القراء أومن المخبرين Les informateur يتوزعون على مناطق التشفير المكثف في النص قصد استخلاص مجموعة الظواهر الأسلوبية المبثوثة في نسيج النص"، أما "عبد العزيز طليمات" فيترجمه إلى "جامع القراءة" ويترجمه أيضا بـ: "القارئ الجمع"، وهناك من يترجمه أيضا إلى "القارئ الأوفى"، "القارئ الأصلي"...[3] الخ.

---

[1] ينظر: شرفي عبد الكريم، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، منشورات الاختلاف،الجزائر، ط1، 2007، ص186.

[2] ينظر: عودة ناضم خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن-،ط1، 1997، ص160.

[3] ينظر: شرفي عبد الكريم، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، المرجع السابق، ص187.

إن مفهوم "القارئ الجمع" الذي أسس له **ريفاتير** لا يقدم لنا سوى وسيلة لاستقصاء الظواهر الأسلوبية التي تسم النص، ولا يمكنه أن يقدم لنا أي شيء، فيما يتعلق بسيرورة المعنى[1].

3-القارئ المطلع أو المخبر: Le lecteur informe

لقد حدد "**ستانلي فيش**" "القارئ المخبر" وفق شروط ثلاثة مستندا في ذلك إلى النحو التوليدي التحويلي؛ حيث أن القارئ يحتك ويتفاعل مع البنية السطحية قبل وصوله إلى البنية العميقة ونقده في هذا لـ"**ايزر**" لأنه يختزل دور الفهم وأهميته إلى جعل ما تقدمه البنية السطحية من تحويلات ثابتة ليعود إلى البنية العميقة[2].

ومن هنا نجد أن ستانلي فيش حدده انطلاقا من العلاقة بين "البنية السطحية" و"البنية العميقة"؛ فالأولى من خلال تأثيرها على القارئ باستمرار خلال سيرورة القراءة، فكلما أخطأ في تقديم معنى ما وأعاد القراءة فسيعطي معنى آخر، وهذا ما تحققه سيرورة القراءة التي تجعل القارئ يراجع ردود أفعاله ويصححها[3].

إن أي "قارئ مطلع" حسب "**فيش**" ليس تدريجيا وليس قارئا حقيقيا، بل هو كائن هجين، إنه قارئ حقيقي يفعل كل ما في وسعه لكي يصبح مطالعا، ولكن "**فيش**" بدل أن يعطي للقارئ المطلع آليات اجرائية تحدد هذه السيرورة وطبيعتها اكتفى فقط بتحديد مفهوم "القارئ المطلع"[4] .

---

[1] المرجع نفسه، ص.187.

[2] ينظر: عودة ناضم خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، مرجع سابق، ص162،161.

[3] ينظر: شرفي عبد الكريم، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص187.

[4] ينظر: شرفي عبد الكريم، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص188.

كما انتقد "**جوناثان كوللر**" "**فيش**" لسببين؛ الأول فشله في تقديم صياغة نظرية حقيقية لما يقوم به من نقد؛ لأنه فشل في طرح سؤال مهم ما الأعراف التي يتبعها القارئ أثناء القراءة؟، أما الثاني فيتمثل في زعمه عن قراءة الجمل كلمة كلمة في تعاقب زمني، ولكن هذا أمر مضلل فليس هناك من سبب يدعوه إلى الاعتقاد بأن القراء يتعاملون مع الجمل فعلا على هذا النحو المتجزئ[1].

4-القارئ المثالي: Le lecteur Ideal

اعتبره "**عودة ناضم خضر**" بناء خالص يمثل استحالة التوصل؛ لأنه على علم بكل ما يجول في خاطر المؤلف ونصه وقادر على فك ثغراته؛ لذا فهو على حد تعبيره **تخييل**[2].

أما من جهة "**عبد الكريم شرفي**" فهوذلك القارئ الذي لا أساس له في الوجود ووضعيته التواصلية مستحيلة؛ لأن هذا الصنف يدرك "النص الأدبي" بكل أبعاده من جميع النواحي ويصل إلى كل امكاناته الدلالية، وهذا غير ممكن؛ فالنص لا يعطي معانيه دفعة واحدة بل تكون بصفة انتقائية وفق الأفق التاريخي لتلقيه، والتي يتم من خلالها عملية بناء في كل مرة؛ وذلك لأن المعنى يختلف باختلاف القراء وأزمنتهم التاريخية فهذا الصنف حسب "**عبد الكريم شرفي**" لا يحقق لنا الملموس بصفة فعلية والمتمثل في التفاعل بين "النص كبنية أنطولوجية"

---

[1] ينظر: محمد عبد الناصر، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المركز الأدبي لتوزيع المطبوعات، د.ط، القاهرة، 1999، ص135.

[2] ينظر: عودة ناضم خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ص164.

و"بنية التحقق" التي تكون من نصيب القارئ، ووظيفته التي يقوم بها نتيجة تأثره بنص ما[1].

أما "**حامد أبو أحمد**" فقد تطرق لمفهوم "القارئ المثالي" الذي جاء به "**ريفاتير**" المتعلق بمسألة "الاستجابة" التي يحققها "القارئ"؛ فالشعر عند "**ريفاتير**" مسألة تعود لمسألة استجابة القارئ، والكلمة الشعرية عندئذ هي الباعث لهذه الاستجابة، ولكن ذلك لا يتم إلا بعد ان يتناولها القارئ ويدعها تلج إلى نفسه لتتلاقى مع سياقه الذهني، ويقترب هذا المفهوم كما يقول "**عبد الله الغذامي**" من فكرة " **ريتشاردز**" عن المخزون الانعكاسي، وهو مبدأ يقوم على حتمية التوازن بين الذوق الجمالي والبنية، بمعنى أن البنية لكي تكون خاصية أسلوبية لابد أن تكون انعكاسا للحس الحدسي الذي نشأ عند "القارئ" نتيجة استقباله لها، وهذا المبدأ يؤسس القراءة على أنها أصل يُنطلق منه للتحليل، ويأتي النقد لكي يكون محاولة للبرهنة على الذوق الصحيح[2].

5-القارئ المقصود: Le Lecteur vise

"القارئ المقصود" عند "**وولف**" هو صورة القارئ كما هي مشكلة في تفكير المؤلف، وبالتالي فإن المؤلف سوف يبني نصه بما يتناسب مع شكل الجمهور.[3] لكن "**فولفغانغ ايزر**" انتقد "وولف" لأن "القارئ المستهدف" _وهناك من يسميه بـ

---

[1] ينظر: شرفي عبد الكريم، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص186.

[2] حامد أبو أحمد، الخطاب والقارئ، نظرية التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة، مركز الحضارة العربية للنشر والطباعة، القاهرة، ط2، 2003، ص 123.

[3] فولفغانغ إيزر، فعل القراءة، نظرية التجاوب في الأدب، تر: حميد الحميداني، الجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، د/ط، 1995، ص 27.

"القارئ المتخيل"_ ليس سوى بعد واحدمن آفاق النص، وعلى العكس من ذلك فإن دور القارئ ينجم عن تداخل الآفاق كلها، وبذلك فإن القارئ هو اعادة بناء مفهومية تمثل الاستعدادات أو القابليات التاريخية للجمهور الذي هو مرمى المؤلف[1].

6-القارئ الضمني Le lecteur implicite:

يُجسد "القارئ الضمني " مجموع توجهات قراءته ؛أي أن هذا القارئ موجود في النص ذاته ويرجع وجوده إلى البنية النصية للتلقي المحايث، ومعه يتشارك القارئ الفعلي في انشاء معنى النص، وهنا يتحقق فعل القراءة المرتبط ببنية النص، فالقارئ الضمني لا يملك وجودا حقيقيا؛ لأنه يُجسد مجموع التوجهات الأولية التي يقترحها نص تخيلي على قرائه الممكنينْ التي هي شروط تلقيه فهو منحدر داخل بنية النصوص نفسها[2].

إنّ القارئ الضمني هو "عملية تكوين النص للمعنى المحتمل، وتحقيق هذا المعنى من خلال عملية القراءة"، وهذا التعريف له بُعدان "الحالة النصية" (بنية النص)و"إنتاج المعنى" من خلال القراءة.

ومن الضروري لكي تتضح فكرة "القارئ الضمني" عند "**ايزر**" أن تستدعي فكرة "المتلقي" في النقد الوجودي لسارتر، فالشبه بينهما واضح؛ حيث قسم "**سارتر**" الجمهور الذي يتوجه اليه الكاتب قسمين؛ "جمهور واقعي"، "جمهور امكاني"،

---

[1] عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، مرجع سابق، ص136.

[2] ينظر: حبيب مونسي، القراءة والحداثة ،مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، 2000، ص164.

ويقصد بالثاني "جمهورا مثاليا" في المستقبل، إذا وجد الكاتب من معاصريه حفوة، ليصف له من وراء الموقف الخاص مُثله الإنسانية[1].

وإذا كان "**هولب**" يرى أنه من الواضح أن "**ايزر**" نسج مفهومه من مفهوم "**واين بوث**" Impliedauthon على نحو ما عرضه في توسع في كتابه "بلاغة النص القصصي"[2].

إن البحث عن "القارئ الضمني" في أي نص صعب جدا؛ لأن "القارئ الضمني" يُمثل فقط دور القارئ المسجل أو المكتوب داخل النص ،ولا يمتلك وجودا حقيقيا، لأنه يُجسد فقط مجموع التوجيهات الداخلية للنص، ومن ثم يصعب تحديد القارئ الضمني وضبطه في أي نص لأن التحديدات لا نهائية.

7-القارئ النموذجي عند امبرتو ايكو:

القارئ النموذجي هو الذي فكر فيه المؤلف حين كتب احدى نصوصه، فلا يشبه أبدا القارئ النموذجي الذي فكر فيه المؤلف حين كتب نصوصه الأخرى. ولابد "للقارئ" من وسائط طبقا لخيار "**ايكو**":

خيار اللغة خيار نموذج من الموسوعة* تراث معجمي و أسلوبي[3].

وبقدر ما كانت أفكار "ايكو" ونظريته حول "القارئ" تحمل قدرا من البشارة الواعدة، إلاّ أنها وصلت عند التطبيق إلى طريق مسدود بحكم بعض التناقضات

[1] محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحداثية و تراثنا النقدي- دراسة مقارنة-دار الفكر للطبع والنشر،القاهرة،ط1 ،1996ص36.

[2] عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل، مرجع سابق، ص132.

[3] صبحي حديدي، ماهي القراءة؟ ما هو القارئ؟ وكيف التعاقد مع المعنى، د/ط، د/ن،ص137،136.

في التنظير، من بينها أن "القارئ" يُكون فرضيات أو عوالم تجريبية ثم يقوم بالتأكد من صحتها والحكم عليها بالصدق والكذب، ولكن إذا "تصور" عالما لا يسمح به النص، فعليه إذن أن يتخلص من عالمه لكي يتقيد بالظروف التي تُقييمها "بنية السرد"، ويعني هذا أن الظروف التي تقييمها "بنية السرد" تطغى على كل شيء[1].

8- القارئ المعارض:

هو ذاك الذي يقف على نقيض القارئ النموذجي سواء ولد في ضمير المؤلف نفسه أثناء سيرورة التأليف، أو ولد في فعل القراءة ذاته.

9- القارئ المقاوم:

وهو ليس تكملة للقارئ المعارض، وهوذلك القارئ الذي يمارس المقاومة ضد هيمنة الأعراف السائدة التي تحدد أنماط التعامل مع الأثر الفني، ويمارس الانشقاق عليها حين يرى في النص ما لا تراه الحكمة الشائعة.[2]

يرى "**مصطفى ناصف**" أن فهمنا للغة مرهون بتغيير تصوراتنا الخاطئة القائلة بأننا أحرار فيما نفكر لا سلطان لشيء علينا، فهل مازلنا نؤمن بالمعنى الاشتقاقي أو المعجمي حتى يومنا هذا من دون مراعاة الظروف التي يستعمل فيها ذلك المعنى؟ هل نحن نعرف مثلا العلاقة المتطورة بين كلمتي الصفوة والجمهور؟ ولكن هذا كله لا يمكن الخوض فيه إذا عكفنا على اللغة من داخلها فحسب.[3]

---

[1] عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل، مرجع سابق ص149.

[2] صبحي حديدي، النص والقارئ، مرجع سابق، ص 136.

[3] ينظر: مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، سلسلة عالم المعرفة، ع 193، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1995، ص 244، 245.

يرى "**مصطفى ناصف**" أن عدم معرفتنا لمعاني الألفاظ بشكل جيد هو بسبب عدم إدراكنا للمسؤولية التي تقع على عاتقنا أثناء محاولتنا لفهم الألفاظ، لأننا لا ننظر إلى الخارج، من أجل استضاح اللغة ذاتها، فنحن منذ الصغر لا نشعر بحرج كاف في استعمال "الألفاظ"، فحقا إن الحرج مسؤولية أخلاقية فهل ترى أنه من الغلو أن نزعم أن طرق تعلم اللغة ساعدت حينا وعاقت نمو المجتمع حينا آخر؟

كما أن المرء قد يخطئ في تفسير "الموقف" إذا رأى نفسه سيدا عليه له حق إدارته كيفما يشاء، ولكن المفسر الواعي يتحرج مع الشعور بنوع من ثبات النص أو قدرته على المقاومة.[1]

وعليه يجب على الثقافة الأدبية المعاصرة أن تولي اهتماما بفكرة "الحرج" في التعامل مع "الموقف" و"النصوص"، لأننا أصبحنا نخلط بين الاقتحام والإقحام، فنحن في زمن أخص ما يمتاز به العجز عن إثارة السؤال، واليقين المتضخم بالجواب ولكن بإمكاننا أن نجعل السؤال فنا ذا وقار فنبحث ما إذا كان السؤال يحتاج إلى سؤال آخر للوصول إلى جواب واضح ومقنع، فنحن بحاجة إذن إلى تقدير أهمية الكتابات في ضوء الأسئلة التي تثيرها لا في ضوء الإجابات القاطعة التي نعتز بها،[2] وبالتالي فالألفاظ عند "**مصطفى ناصف**" هي ثمار عبارات وفقرات وكتب وعصر وفكر عام، لذلك نحن بحاجة لفهمنا للألفاظ إلى تذكر ما

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص 245.

[2] ينظر: مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، المرجع السابق، ص 181، 182، 183.

نعلمه وما تعلمناه، وفي هذا دعوة صريحة من "مصطفى ناصف" إلى إقامة علاقة تداخل بين القديم والحديث.[1]

ومن هنا يؤكد "**مصطفى ناصف**" على فكرة بالغة الأهمية قد تغيب على كثير من القراء، وهي الإقرار بصعوبة التعرف على مدلولات الألفاظ، فهذا ينمي كل شيء نبيل في حياة الإنسان، فينمي الشعور بمسؤولية الفرد تجاه نفسه ومجتمعه، لذا يجب أن يتحول النقاش في كل مستوياته إلى حوار حول "مشروعية الدلالات".[2]

ومن الأمور المتصلة مباشرة **بمسألة المتلقي** دراسة عملية إدراك الإنسان للإنسان، إن "موضوع الفن" الأساسي هو **الإنسان؛** صورته وسلوكه وشخصيته الاجتماعية؛ حيث أن الشخصيات في النصوص الإبداعية تتوسع في وعي المتلقين وذاكرتهم، وكأنها شخصيات حية يعرفون حتى أدق تفاصيلها و طبائعها وسماتها الجسدية؛ لذا لا يمكن تجاهل هذه القوة القادرة–القارئ–على تجسيم الخيال عند دراسة المسألة التي نحن بصددها[3].

كما أن قراءة الكتب التي تبدو لنا عملا مألوفا و عاديا هي في جوهرها عملية غامضة وغير معروفة إلى درجة كافية ؛لقد عدّ "**أناتول فرانس**" القراءة حوارا متكافئا بين الكاتب والقارئ؛ أما "**فيكتور هيغو**" فقد عدّ هذا الحوار مُبارزة يصعب

---

[1] ينظر، المرجع نفسه، ص 183.

[2] ينظر: نفسه ص 248.

[3] ينظر؛ فؤاد المرعي؛ العلاقة بين المبدع والنص والمتلقي؛ مجلة علم الفكر؛ م23؛ ع1؛2؛ سبتمبر/ أكتوبر/ ديسمبر 1994؛ص353.

التنبؤ بنهايتها؛ ومن ثم فإن تلقي "الفن" ليس مجرد لقاء بين القارئ أو المشاهد أو المستمع و بين المبدع؛ وليس نقاشا أو خلافا فكريا؛ بل هو أيضا اكتشاف جديد للحياة وتربية للذات و للمتعة[1].

وقد طرح "مصطفى ناصف" عدة قضايا مهمة عن مسالة التلقي في كتابه" اللغة والتفسير والتواصل"؛ حيث أنه في معرض حديثه عن أنماط القراءة طرح قضية جوهرية وهي "أننا نعيش لنتعلم "وعليه يجب على **القارئ** أن يتعلم ما يلي:

1-تعلم كيفية النظر؛ وهي القدرة على تمييز الأشياء و التأمل والتمعن فيها بدقة.

2- تعلم كيفية الإصغاء؛ فالإصغاء أدق من السمع؛ لأن السمع قد يكون بلا وعي ولا تركيز، أما الإصغاء فيكون بوعي وتركيز.

3-تعلم كيفية الاستقبال؛ فنحن نستقبل ملايين المعلومات لكن الاستقبال المثالي هو بتحكيم العقل و غربلة المعلومات [2]؛

4- إمكانية أن ننحي أنفسنا؛ وتدخل ضمن التنازل عن بعض قناعاتنا لفهم الأخر ماذا يريد أن يقول النص بعيدا عن بعض قناعاتنا؟.[3]

ثانيا: أنماط القراءة

ميّز "**تودروف**" بين 03 أنواع من القراءة:

---

[1] ينظر؛ فؤاد المرعي؛ العلاقة بين المبدع والنص والمتلقي؛ مرجع سابق، ص347.

[2] ينظر: مصطفى ناصف؛ اللغة والتفسير والتواصل؛ ص294.

[3] المرجع نفسه، ص294.

1-القراءة الاسقاطية:

هي نوع تقليدي لا تركز على النص؛ ولكنها تمرّ من خلاله ومن فوقه متجهة نحو المؤلف أو المجتمع؛ وتعامل النص كأنه وثيقة لإثبات قضية شخصية أو اجتماعية او تاريخية...إلخ.

2-القراءة الشارحة:

يُلتزم فيها بالنص إلاّ أنّها لا تأخذ منه إلاّ ظاهر معناه فقط؛ و يُعطى المعنى الظاهري حصانة يرتفع بها فوق الكلمات؛ بالتالي فشرح "النص" فيها يكون بوضع كلمات بديلة للمعاني نفسها على ما في ذلك من تكرار ساذج للكلمات نفسها.

3-القراءة الشعرية:

وهي قراءة النص من خلال **شعريته** في ضوء سياقه الفني؛ والنص هنا خلية حية تتحرك من داخلها مندفعة بقوة تحكم كل الحواجز بين النصوص؛ ولذلك نجد أن "القراءة الشعرية" تسعى إلى كشف ما هو باطن في النص؛ وتقرأ فيه أبعد مما هو في لفظه الحاضر.[1]

بالإضافة إلى قراءات أخرى، من بينها:

- **القراءة العارفة:**

تجاوزية، تنطلق من المقروء لتصدر عنه متطلعة للظروف المحيطة به كاشفة عن خباياه، محللة ادواته، منقبة عن مرجعياته التي تصنع قيمهُ الجمالية

[1] ينظر: عبد الناصر حسن محمد؛ نظرية التواصل؛ ص 56.

فهي تستثير **فعل الكتابة** من جديد كما وجدها "**بارث**"، فتضم تحت فعلها لذة النص ومتعته في أن واحد.

- **القراءة الذوقية:**

وهي لا تبارح الصنيع الأدبي إلاّ حين تسجل إعجابها أو عدمه، وهي ما يرصده الناشر في جمهوره، فإن سجل الإعجاب مصدر المؤلف يحثه على المزيد لزيادة الطلب، وإن سجل غير ذلك توجس خيفة من المؤلف، وعمل على توجيهه أو انصرف عنه؛ فهي مقياس تجاري لا يخلو من خطر ،لأن الذوق نسبي تحكمه جملة من المعطيات تصنعها الدعاية و الشائعة في كثير من الأحيان[1]، وكثيرا ما عانت الأعمال الخالدة جراء هذه القراءة الخاضعة للهوى، فالقراءة الذوقية قراءة استهلاكية، شأنها شأن القراءة "النفعية" التي تلتفت إلى الكتب المهنية والوضيفية؛ اذ ليست القراءة عملية آلية بسيطة، بلا عملية مركبة تُسقط الذات القارئة بحمولتها المعرفية و الاعتقادية و الظرفية والايديولوجية على المكتوب، فلا ترى فيه إلاّ من خلال عدستها المشحونة بعوامل شتى يتراوح فيها العامل النفسي الآني والعامل الاجتماعي والعامل الاقتصادي والسياسي والديني[2].

لقد أفصح "**جاك لنهارت**" في حديثه لمجلة "الكرمل" عن بحث ميداني لرصد "ظاهرة القراءة "شمل فرنسا وهنغاريا لمؤلف قصد معرفة كيف تعالج ثقافتان مختلفتان النص نفسه، من عينة غير متجانسة من القراء الفرنسيين والهنغاريين،

---

[1] حبيب مونسي :نظريات القراءة في النقد المعاصر ،منشورات دار الأدب، وهران، د/ط،الجزائر2008 ص62.

[2] المرجع نفسه ص63.

في ضوء أسئلة محددة ترمي الى شرح حدث روائي، أو جانب من سلوك الشخصيات وقد تطلبت طرح أسئلة للقراء المستجوبين وهي بمثابة تأويلات على مستويات مختلفة من مضمون الروايتين:

Les choses rouillees de georgerperec
Le cimetière d'AUDRE Feges

وانطلاقا من الأجوبة وتعديلاتها وشكلها والبرهنة استطاع فريق البحث اكتشاف ثلاثة أنماط قرائية Modesde lecture لخصها "**رشيد بنحدو**" على النحو التالي:

1-القراءة الظاهرية:

وهي التي تتوقف عند ظاهر النص ولا تتعداه، فترصد فيه جملة الأحداث والأفعال كما تتمظهر في الرواية، دون أن تُعالجها بالتحليل والنقد وابداء الرأي فهي تقنع بما يعرضه سطح النص في تمظهره الخطي، وكأنها قراءة محايدة لأنها تثير سؤالا ولا تطرح اشكالا، فلا تستحسن ولا تستهجن.

2-القراءة المتماهية العاطفية:

هي في أساسها قراءة متذوقة مادامت تُفرغ على سلوك الشخصيات والأحداث شيئا من ذاتها ، فتقبل هذا الموقف و تستحسن ذلك السلوك[1] انطلاقا من ذوقها الخاص المرتكز على قيم مترسبة من الفعل الاجتماعي، والجمالية، الفنية الحاضرة في الذات القارئة، حتى وإن أعوزها الدليل وخانها البرهان فموقفها من الحديث يتسم بشحنة ايجابية من منظورها الخاص.

[1] حبيب مونسي: نظريات القراءة في النقد المعاصر، مرجع سابق ص64.

3- القراءة التحليلية التركيبية:

وهي درجة أسمى حيث يقوم التحليل على التفكيك؛ تفكيك أقسام النص وكشف علاقاته المتشبعة وبيان علله، وأسبابه، حتى تتبدى من خلال ذلك حقيقة الأفعال وطبيعة الأحداث في النسيج النصي، وعليه يمكن تفسير سلوكات الشخصيات تفسيرا "علميا موضوعيا" وفق مقاييس المُحلل ومعطياته الفنية والقيمية، فالنص الجديد هو "نص القارئ" لا نص الكاتب، لأنه هيكلة جديدة للمكتوب، وفق قراءة القارئ ومرجعياته المختلفة.

قد يُخول لنا مثل هذا التصنيف **لأنماط القراءة** تحديد أنماط الجمهور القارئ وتقسمه إلى ثلاثة فئات، غير أن الفئة الواحدة تظل غير متجانسة إلى حد بعيد لأنه "يوجد داخل كل جمهور أنواع من الجماهير المصغرة"، إلاّ أن اعتبار أنماط القراءة شكلا مفرغا من التحديدات الإيديولوجية والفكرية والضوابط القيمية أمرا لا يكشف حقيقة القراءة، وتبقى الأنماط الثلاثة في دائرة محايدة، يتعلق بالفرد وحده، وكأنه مجرد آلية ميكانيكية[1] تتولى النص إما بالكشف عن ظواهره، وإما بالحكم له أو عليه استحسانا واستهجانا، وإنما بإقامة لعبة التفكيك والتركيب في أجزاءه بغض النظر عن حمولته الفكرية[(2)].

[1] حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، ص65.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص66.

لذا يتحتم علينا أن نقرن أنماط القراءة بأنساقها"systemes de lecteur" فإذا كانت طرائق القراءة إعدادا لأشكالها فإن **أنساقها** تكشف عن الاستثمارات القيمية التي تتخلل هذه الأشكال[1].

1-النسق الأول: وهو النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والإيديولوجي الذي يتخيلهالقارئ خلفية لأحداث النص، ومن خلال هذا يستطيع القارئ أن يحدد أنواع السلوكات والأفعال التي يحفل بها النص، فهو يسائله بل يرقبه من زاوية تحديد الوسائل والغايات معا، فهو نسق ذرائعيpragmatique[2].

2-النسق الثاني: وينبني على جملة من القيم الثقافية والأخلاقية.

3-النسق الثالث: يتحدد تبعا لخط القراءة والتي تحاول أن تحدد الأفعال أو الأحكام بالمحيط أو السببية الاجتماعية، أي أنها تستثمر معطيات الواقع لتبرير وتعليل الأحداث وفق مقاييس الطبقة الاجتماعية.

إن عملية استقراء أنماط القراءة وأنساقها تجلي حقيقة الفعل القرائي في جوهره وتكشف خطورته في آن واحد، إذ المسألة معلقة على عاتق القارئ فهو خارج النص في شبه انقطاع كلي، وحال وقوعه بين يدي القارئ يصارع وجودا قد يخالف وجوده كإبداع مادام **فعل القراءة** ينطلق منه ابتداء ليختبر أدواته في حواره مع النص[3].

وهناك أنواع أخرى من القراءة من بينها:

---

[1] نفسه، ص66.

[2] نفسه، ص66،67.

[3] ينظر: حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، ص 67.

-القراءة الاستنساخية:

وهي القراءة ذات البعد الواحد(صاحب النص) وتقف من خطاب الموقف المتعلم من معلمه لتُعْلن بعد ذلك عما يقوله <<تبرز ما يُبرز؛ وتُخفي ما يُخفى....>>ودورها لا يعدوان يكون تسميعا أو إعادة ما يقوله النص.

-القراءة الإنتاجية:

وهي القراءة التي لا تقبل التقيد فقط عند حدود الشرح والتسميع؛ ولا الانقياد الأعمى كما يُمليه عليها الخطاب؛ ولكنها إرادة واعية نحو تأويل مستبصر إلى إعادة بناء النص والكشف عن وجهات النظر المختزنة بداخله[1] .

تناول "**عبد الحق بلعابد**" شبكة القراءة وآلياتها على روايات محمد برادة حيث وجدها تتسم بالمرونة، فهي قابلة للتعديل والتغيير بحسب النص المدروس، وبحسب الفرضيات القرائية التي يقترحها القارئ، وما اعتمده من كفاءاته أيضا، فهي تحتكم إلى هذه الاعتبارات لإنجاز آلياتها، كونها أفق مفتوح على الإضافات التأويلية الممكنة إلا أنها لا تخرج عن مرتكزاتها البانية لشبكتها، حيث نجدها تتمفصل على نفسها إلى ثلاث قراءات مهمة هي القراءة الشكلية والقراءة الداخلية، والقراءة الخارجية.

1-القراءة الشكلية:

هي قراءة استكشافية تتمركز حول المفاهيم النقدية لتركيب النص ويحركها في ذلك فعل التقاط المؤشرات النصية من جهة، وفعل الاستباق من جهة ثانية، إذ

[1] ينظر؛ نواري سعودي أبو زيد؛ الخطاب الأدبي من النشأة إلى المتلقي؛ مكتبة الآداب؛ القاهرة؛ ط1؛ 2005؛ص68,69.

تعمل المؤشرات على ضبط حدس القارئ، وتوجيه منحاها الأفقي، ضمانا للفهم السياقي الذي يتموضع فيه النص، حيث يشكل المناص نقطة مركزية في القراءة الشكلية، فبملاحظة التشكيلات الخارجية للنص ستجعل منها عملية أولية تنطلق من تفكير منسق لتقضي إلى اقتراح القارئ لتوقعاته حول قراءة النص في صيغة فرضيات، ذلك أن لكل نص مكتوب وظيفة أيقونية يجب أخذها بعين الاعتبار: مثل العناوين، المقدمات، الإهداءات، الصور، الرسوم، ... الخ، وهي كلها علامات ومؤشرات ملائمة للمقاربة الشمولية للنص / الرواية، والقارئ الذي ينجز هذه القراءة هو القارئ المناص الذي يحاول فهم العتبات النصية وتفهيمها تحليلا وتأويلا.[1]

2-القراءة الدلالية:

وتتم بدراسة ما يلي:

1. المداخل النصية والمتمثلة في الفاتحة النصية التي تضعها داخل السرد، وهذا بمعرفة دورها ووظيفتها العملية، وعلاقتها بالنص، وبقية البنيات إلى جانب دراسة الخاتمة النصية والتي تضعنا خارج السرد، معلنة عن الانغلاق الروائي، لهذا علينا البحث عن وظائفها وكيفية استغلالها وإنهائها للنص.

2. البنية العامة للنوع على ماذا انبنى النص؟ هل على أسطورة؟ أو لوحة أو صورة؟ ... الخ، وفي هذه النقطة بالذات تبرز العلاقة الموجودة بين

[1] عبد الحق بلعابد، مكونات المنجز الروائي، تطبيق شبكة القراءة على روايات محمد برادة، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم/ كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2008/2007، ص 38، 39.

القراءة الشكلية (المناص) والقراءة الداخلية، أي مثلا الصورة الموجودة على غلاف الكتاب وتمظهراتها النصية في الرواية أو أي شكل أدبي آخر.

3. البنية السردية بالبحث في الكيفية التي يتموضع فيها اطار الحكي، وبالبحث عن كيفية اشتغال كل من الزمان والمكان والشخصيات وهذا بـ:

- تحديد الأزمنة المهيمنة.
- علاقة ذلك بالفضاء.[1]
- عدم إغفال انتظام عملية الحكي، والمواضع التي يتخذها السارد، هل هو داخل الحكاية، أم خارج عنها؟ وما هي التبئيرات التي يتخذها، هل هو تبئير داخلي أو تبئير خارجي؟
- ولتحقيق دينامية الحكي، لابد من البحث عن كيفية نمو النشاط السردي وتطور الأزمنة وانفرادها.
- البنية الخطابية والإيديولوجية وهذا بالإجابة عن سؤال ما هو المعنى الأصلي المعطى للحكاية في نهاية النص؟ والقارئ الذي يضطلع بإنجاز هذه القراءة هو ما نسميه بالقارئ النصي، ذلك الباحث في البنيات السردية للنصوص والخطابات. [2]

[1] عبد الحق بلعابد، مكونات المنجز الروائي، تطبيق شبكة القراءة على روايات محمد برادة، ص 40.
[2] المرجع نفسه، ص 40.

3-القراءة الخارجية:

هي قراءة تقع خارج المجال النصي، لها علاقة بالسياق التلفظي للنص، علما أن النص هو الذي يملي علينا اختياراته بحسب العنصر المهيمن داخل شبكة القراءة، لهذا نجد أن هذه القراءة تضم تحتها قراءات متعددة منها:

3-1. القراءة التناصية: تقوم هذه القراءة بتأطير كل ما يتعلق بالعناصر الخارج النصية، والمتعالقة مع النص المدروس، لأن التناص ما هو إلا فسيفساء من النصوص تتلاحق فيما بينها، فالكاتب يقوم بإعادة إنتاج ما تقدمه وما عاصره من نصوص مكتوبة (عالمة)، أو غير مكتوبة (شفهية) أو ينتقي منها صورة أو موقفا دراميا، أو تعبيرا ذا قيمة رمزية، لهذا فالنصوص في تعالق مع بعضها، فنجد النص اللاحق يحاور النص السابق، وعلى القارئ أن يكون له الدور الفاعل في تلقي هذه العملية التناصية، بحيث يصير التناص يمثل إدراكه للعلاقات التي توجد بين عمل أدبي وغيره من النصوص التي سبقته أو تلته.[1]

3-2. القراءة البيوغرافية: هي من يضعنا في قلب التجربة الذاتية للكاتب بمعرفة مراحل الشخصية والأدبية التي سيكون لها انعكاسات على كتاباته اللاحقة، وكذلك معرفة ما كتب عنه في المجلات والصحف، وما أذيع عنه في الملتقيات والندوات، لأن العنصر البيوغرافي من بين العناصر البارزة التأثير في الأدب المقارن، خاصة مدرسة الحوليات التي تعنى بتراجم الأدباء، وما يتصد بهم، ولكن القراءة البيوغرافية التي تعد بنية من بنيات شبكة القراءة تلتفت فقط للتلميحات

[1] عبد الحق بلعابد، مكونات المنجز الروائي، المرجع السابق، ص 40.

النصية، فتعمل على إبرازها لتشييد معنى النص المدروس لهذا يطرح السؤال التالي: هل وفقنا إلى معرفة شيء عن حياة الكاتب التي لها علاقة مع النص / الرواية؟ [1]

3-3. القراءة السيكولوجية: هي القراءة التي تخضع في لاوعي الكاتب، ولاوعي النص للمساءلة السردية، فهل للعامل النفسي دور في التجربة الكتابية؟ وهل للكتابة رحلة مستمرة للبحث عن الذات في مناطق بعيدة عن الوعي؟ أسئلة كثيرة مازالت في عتمات الذات الكاتبة لا تريد البوح بها.[2]

وفي الأخير يرى **عبد الحق بلعابد** أن مثل هذه الشبكات القرائية ليست هي الأنجع والأكمل على الإطلاق، غير أنها تبقى مفتوحة على افتراض أسئلة ما تزال تطرحها البحوث الأدبية المعاصرة، بوضعنا في مواجهة مختلف النصوص لتقدم لنا قراءة منهجية وتعليمية للخيال السردي، مبتعدين عن التطبيق الميكانيكي لهذه الشبكة على النصوص، لأنه لا توجد شبكة حقيقية ولكنها تبين تفاعلية النص والقارئ الناظمة والمنظمة لهذه الشبكة.[3]

ويطرح **مصطفى ناصف** قضية بالغة الأهمية وهي "**كيفية توجيه القراءة**"؛ أي كيف يتم تعليم القراءة؟ فوضع لها ضوابط وهي كالتالي:

1-لا تعلم القراءة في اطار الفرض؛ فالقراءة لا تكون بالقوة.

2-لا تُعلم القراءة في اطار تجاهل الزمن؛ لأنّه لكل عصر خصوصيته وعقلياته.

---

[1] المرجع نفسه، ص 40، 41.

[2] نفسه، ص 41.

[3] عبد الحق بلعابد، مكونات المنجز الروائي، ص 42.

3- لا تُعلم القراءة في ظل تكليفهم بتغيير أنفسهم كُلية؛ على اعتبار أن التجربة الشخصية لها حق الحياة والامتحان؛ فتعلم القراءة لا يكون بإلغاء شخصية الإنسان و تجربته الحياتية[1] .

ومن ثم يرى "**مصطفى ناصف**" بأننا جميعا مطالبون بـ:

1-أن نُصغي إلى أبعد مما تعودنا.

2- أن نرى أكثر مما أَلِفنا.

3-أن نفرق بين شهواتنا الشخصية و حقائق ما نسمع إليه أو نقرؤه.[2]

ولا يسعني في الأخير إلاّ أن أؤكد على فكرة مفادها أن مسألة "**التفاعل بين النص و القارئ**" مسألة ضرورية وجوهرية رغم كل التعقيدات التي تعتريها – وهذا ما كرسته "**جمالية التلقي**" من خلال مقولة "**التفاعل**"Interaction.

أما فهم معنى النص بشكل جيد فهو مرهون **بتلقي جيد** وهذا يتطلب **قارئ حاذق ومسؤول** لا يكتفي بقراءة واحدة للنص بل يعدد قراءاته، لأن كل قراءة تقربه من فهم النص، مما يستدعي من القارئ الإدراك الواعي أن "**فعل القراءة**" ليس هو القراءة الحرفية للكلمات أي فهم السطور–بل على القارئ أن يفهم ما بين السطور وما وراء السطور لتكون قراءته **انتاجية.**

---

[1] ينظر؛ مصطفى ناصف، اللغة و التفسير و التواصل، مرجع سابق ص 279.

[2] ينظر؛ المرجع نفسه ص279.

قائمة المصادر والمراجع:

1- شرفي عبد الكريم، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.

2- عودة ناضم خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن-،ط1، .1997

3- محمد عبد الناصر، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المركز الأدبي لتوزيع المطبوعات، د.ط، القاهرة، 1.1999

4- فولفغانغ ايزر، فعل القراءة، نظرية التجاوب، تر: حميد لحميداني، الجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، د.ط، 1995.

5- حبيب مونسي "القراءة والحداثة"-مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية- منشورات اتحاد الكتاب العرب- دط،2000

6- محمود عباس عبدالواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحداثية وتراثنا النقدي-دراسة مقارنة-دارالفكر للطبعة والنشر،القاهرة،ط1، 1996.

7- صبحي حديدي، ما هو القراءة؟ ماهوالقارئ؟ وكيف التعاقد مع المعنى، د/ط، د/ن.

8- فؤاد المرعي؛ العلاقة بين المبدع والنص والمتلقي؛ مجلةعلمالفكر؛م23؛ ع1؛2؛سبتمبر/أكتوبر/ديسمبر.1994

9- مصطفى ناصف؛ اللغة والتفسير والتواصل,سلسلة عالم الفكرع1995,193 المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب,الكويت .1995.

10- حبيب مونسي: نظريات القراءة في النقد المعاصر، منشورات دار الأدب، وهران، د/ط،الجزائر.2008

11- نواري سعودي أبوزيد؛ الخطاب الأدبي من النشأة إلى المتلقي؛ مكتبة الآداب؛ القاهرة؛ط1؛.2005

12- حامد أبو أحمد، الخطاب والقارئ، نظرية التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة، مركز الحضارة العربية للنشر والطباعة، القاهرة، ط2، 2003.

13- عبد الحق بلعابد، مكونات المنجز الروائي، تطبيق شبكة القراءة على روايات محمد برادة، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم/ كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2008/2007.